بشرى المتقين

في الحياة الدنيا وفي الآخرة

تأليف

محمد شومان الرملي

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ

بشرى المتقين

في الحياة الدنيا

وفي الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد، فإن الله عز وجل أرسل رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام مبشِّرين ومنذِرين، كما قال سبحانه:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام:٤٨، والكهف:٥٦].

قال ابن سعدي[1]: يذكر تعالى زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البِشارة[2] والنَّذارة، وذلك مستلزم لبيان المُبَشَّر والمُبَشَّر به، والأعمال التي إذا عملها العبد، حصلت له البِشارة. والمُنْذَر والمُنْذَر به، والأعمال التي من عملها حقت عليه النَّذارة. اهـ.

ووصف الله تعالى رسوله بالبشير والمبشِّر في آيات كثيرة، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة:١١٩، وفاطر:٢٤].

وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء:١٠٥، والفرقان:٥٦].

وأنزل سبحانه عليه الكتاب ليبشر به المتقين وينذر الظالمين المعاندين، وجعله بشرى للمسلمين، والمؤمنين، والمحسنين، كما قال سبحانه:

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم:٩٧].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/٢٣).

(٢) البِشارة والبشرى: الخبر السار. قاله الراغب في «مفرداته». وقال الرازي في «تفسيره»: لفظ البِشارة مشتق من خبر سارٍّ يظهر أَثَرُه في بَشَرَة الوجه.

(**قومًا لدًّا**)؛ أي: شديدي المجادلة والمخاصمة بالباطل.

وقال سبحانه: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل:٨٩].

وقال سبحانه: ﴿**تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النمل:١-٢].

وقال سبحانه: ﴿**وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأحقاف:١٢].

وهم (أعني الرسل) يبشرون العباد إن هم أطاعوا الله عز وجل، وعبدوه وحده لا شريك له، فكانوا من المؤمنين المتقين، بالحياة الطيبة والراحة والأمن والسرور والسعادة في الدنيا والآخرة.

ويبشرونهم بالنعيم الأبدي، والخلود السرمدي، حيث ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وتبشيرهم عليهم الصلاة والسلام يُرَغِّب العباد في طاعة الله تعالى، وينشطهم لتقواه، ويقوي هممهم، ويسهل عليهم العسير، ويقرب إليهم البعيد.

ولما كان الأمر كذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمات المختصرة في ما جعله الله تبارك وتعالى للمتقين من البشرى في الحياة الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، وعنونت لها بـ «بشرى المتقين في الحياة الدنيا وفي الآخرة»، فجاءت بعد هذه المقدمة أربعة أبواب وخاتمة، كما يلي:

الباب الأول: في بشرى المتقين في الحياة الدنيا.

الباب الثاني: في بشراهم عند الموت وفي القبر.

الباب الثالث: في بشراهم في الآخرة.

الباب الرابع: في ذكر صفات المستحقين للبشرى.

والله تعالى هو المسؤول أن ينفعني وإخواني المؤمنين بما أكتب، وأن يجعلنا من أهل البشرى في الدنيا والآخرة، بمنه وكرمه، وجوده ورحمته.

وكتب
محمد شومان الرملي
١٣/محرم/١٤١١
٤/آب/١٩٩٠

الباب الأول

في

بشرى المتقين
في الحياة الدنيا

بشرى المتقين في الحياة الدنيا

قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فقال: ما سألني عنها أحد غيرُك إلا رجل واحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال:

«مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ مُنْذُ أُنْزِلَتْ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ»[١].

وعن عبادة بن الصامت، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٧٣ و٣١٠٦)، وغيره، وصححه الألباني.

«هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُؤْمِنُ، أَوْ تُرَى لَهُ»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خلف أبي بكر، فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي، وَلَا نَبِيَّ». قال: فشَقَّ ذلك على الناس، فقال: «لَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ». قالوا: يا رسول الله، وما الْمُبَشِّرَاتُ؟ قال:

«رُؤْيَا الْمُسْلِمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٧٥)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩)، وغيره.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٧٢)، وغيره، وصحح إسناده الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «رُؤْيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[1].

قال الرازي[2]: ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله، ومن كان كذلك فهو عند النوم لا يبقى في روحه إلا معرفة الله، ومن المعلوم أن معرفة الله ونور جلال الله لا يفيد إلا الحق والصدق، وأما من يكون مُتَوَزِّعَ الفكر على أحوال هذا العالم الكَدِر المظلم، فإنه إذا نام يبقى كذلك، فلا جرم لا اعتماد على رؤياه، فلهذا السبب قال: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، على سبيل الحصر والتخصيص.

وقال ابن سعدي[3]: **(لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)**، أما البِشارة في الدنيا فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما في الآخرة: فأولها البِشارة عند قبض أرواحهم.

---

(١) أخرجاه في «الصحيحين»، وهو فيهما أيضًا من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
(٢) «التفسير الكبير» (١٣٤/١٧).
(٣) (٣٢٩/٢).

وفي القبر: ما يُبَشَّر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.

وفي الآخرة: تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم.

والحاصل: أن البشرى شاملة لكل خير وثواب رتبه الله في الدنيا والآخرة على الإيمان والتقوى، ولهذا أَطْلَقَ ذلك فلم يُقَيِّدْه. اهـ.

وقال ابن جرير[(١)] بعد أن ذكر أقوالًا في تفسير **(لهم البشرى في الحياة الدنيا)**: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا. ومن البِشارة في الحياة الدنيا: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له. ومنها: بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله. ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿**وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ**﴾ الآية [البقرة:٢٥].

---

(١) «جامع البيان» (٩٦/١١) بحذف يسير.

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عَمَّه جل ثناؤه أن (**لهم البشرى في الحياة الدنيا**)، وأما في الآخرة فالجنة. اهـ.

فصل

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا**﴾ [مريم:٩٦].

قال ابن سعدي[١]: هذا من نعمه على عباده الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم وُدًّا؛ أي: محبة ووِدادًا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب وُدٌّ تيسر لهم كثير من أمورهم، وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ...»[٢]. وإنما جعل الله لهم وُدًّا،

---

(١) «تفسيره» (٣/٢٢١).

(٢) وذكر الحديث، وسيأتي الآن.

لأنهم وَدُّوه، فوَدَّدَهم إلى أوليائه وأحبابه. اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيتَ الرجلَ يَعملُ العملَ من الخير، ويَحْمَدُهُ الناسُ عليه (وفي رواية: ويُحِبُّهُ الناسُ عليه)؟ قال:

«تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»(٢).

قال النووي(٣): (تلك عاجل بشرى المؤمن)، قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل البشرى المؤخرة إلى الآخرة بقوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ الآية [الحديد:١٢]. وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢)، وغيره.

(٣) «شرح مسلم» (١٨٩/١٦).

تعالى عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق. اهـ.

فصل

قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴾ [الزمر:١٧].

قال ابن سعدي[1]: **(لهم البشرى)**، التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يَرَوْن في خلالها أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل:٩٧].

---

(١) «تفسيره» (٣١٥/٤).

قال القاسمي[1]: هذا وعد منه تعالى لمن عمل صالحًا، وهو العمل التابع لكتاب الله وسنة رسوله، من ذكر أو أنثى، وهو ثابت على إيمانه إلى الموت، بأن يحييه الله تعالى حياة طيبة.

قال المهايمي: أي فيتلذذ بعمله في الدنيا فوق تلذذ صاحب المال والجاه، ولا يبطل تلذذه إعساره، إذ يرضيه الله بقسمته فيقنعه ويقل اهتمامه بحفظ المال وتنميته. والكافر لا يهنأ عيشه بالمال والجاه، إذ يزداد حرصًا وخَوْفَ فوات. ويُجزون بالأحسن في الآخرة، فلا يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف:٢٠]. بل يُكَمَّل جزاءُ أعمالهم الأدنى بحيث يُلحق بالأعلى. انتهى.

وعندي أن الحياة الطيبة هي الحياة التي فيها ثلج الصدور بلذة اليقين، وحلاوة الإيمان، والرغبة في الموعود، والرضا بالقضاء، وعتق الروح مما كانوا يُستعبدون له، والاستكانة إلى معبود واحد، والتنوّر بسر الوجود الذي قام به، وغير ذلك من مزاياه المقررة في مواضعها. هذا في الدنيا، وأما

---

(١) «محاسن التأويل» (١٠/١٥٦).

في الآخرة، فله الجزاء الأحسن، والثواب الأوفى. انتهى كلام القاسمي.

وقال ابن سعدي[1]: فأخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في هذه الدار وفي دار القرار.

وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح، المصلح للقلوب والأخلاق، والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يَتَلَقَّوْن فيها جميعَ ما يَرِد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهم والأحزان.

يَتَلَقَّوْن المحابّ والمسارّ بقَبول لها، وشكر عليها، واستعمال لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه أحدث لهم من الابتهاج بها، والطمع في بقائها وبركتها، ورجاء ثواب الشاكرين، أمورًا عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتها هذه المسرات التي هي ثمراتها.

---

(١) أول رسالة «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة».

ويَتَلَقَّوْن المكاره والمضارّ والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم عنه بد، وبذلك يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة، والتجارب والقوة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب، أمورًا عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه. اهـ.

وقال رحمه الله(١): اعلم أن أصول اللذات المطلوبة:

أولًا: راحة القلوب وسكونها وطُمأنينتها، وفرحها وبهجتها، وزوال همومها وغمومها.

ثانيًا: القناعة والطُمأنينة بما أوتيه العبد من المطالب الجسدية.

ثالثًا: استعمال ذلك على وجه يحصل به السرور والاغتباط.

فهذه الأمور الثلاثة من رُزقَها واستعملها على وجهها فقد نال كل ما تعلق به طمع الطامعين، فإن جميع اللذات ترجع

---

(١) «انتصار الحق» (ص ٢٧-٣١).

إلى ما ذكرنا.

فأما لذات القلوب وحصول سرورها وزوال كدرها، فإنما أصل ذلك بالإيمان التام بما دعا الله عباده إلى الإيمان به، من الإيمان بتوحده بجميع نعوت الكمال، وامتلاء القلب من تعظيمه وجلاله، ومن التأله له وعبوديته، والإنابة إليه، وإخلاص العمل الظاهر والباطن لوجهه الأعلى، وما يتبع ذلك من النصح لعباد الله، ومحبة الخير لهم، وبذل المقدور من نفعهم والإحسان إليهم، والإكثار من ذكر الله والاستغفار والتوبة.

فمن أوتي هذه الأمور فقد حصل لقلبه من الهداية والرحمة والنور والسرور وزوال الأكدار والهموم والغموم ما هو نموذج من نعيم الآخرة.

وأهل هذا الشأن لا يَغبطون أرباب الدنيا والملوك على لذاتهم ورياساتهم، بل يَرَوْن ما أُعطوه من هذه الأمور يفوق ما أُعطيه هؤلاء بأضعاف مضاعفة.

وهذا النعيم القلبي لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه وجربه، فإنه كما قيل:

من ذاق طعم نعيم القوم يَدْرِيه

ومَنْ دَرَاه غدا بالروح يَشْريه

فهذا إشارة لطريق هذا النعيم القلبي الذي هو أصل كل نعيم.

وأما الأمر الثاني، فإن الله أعطى العباد القوة والصحة، وما يتبع ذلك من مال وأهل وولد وخَوَل[1] وغيرها.

والناس بالنسبة لهذه الأشياء نوعان: قسم صارت هذه النعم في حقهم مِحَنًا ونِقَمًا. وقسم صار في حقهم نِعَمًا وخيراتٍ ومِنَحًا.

أما أهل الدين الحقيقي، فقد قابلوا هذه النعم وتلقَّوْها على وجه الشكر لله والاغتباط بفضله، وتناولوها على وجه الاستعانة بها على طاعة المنعم، وعلموا أنها من أكبر الوسائل لهم إلى رضى ربهم وخيره وثوابه إذا استعملوها فيما هُيئت له وخُلقت لأجله، وقد رضوا بها عن الله كل الرضى، فإنهم علموا أنها من عند الله الذي له الحكمة التامة في جميع أقضيته

(١) الخَوَل: عطية الله من النِّعَم والعبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحشم. «وسيط».

وأقداره، وله الرحمة الواسعة في جميع تدابيره، وله النعمة السابغة في كل عطاياه، وهو أرحم بهم من الخلق أجمعين، فحيث علموا العلم اليقيني صدورها ممن هذا شأنه قنعوا بما أُعطوه منها من قليل وكثير كل القناعة، وسكنت قلوبهم عن التطلع والتطلب لما لم يُقَدَّر لهم.

ومتى حصلت الطُمأنينة والقناعة والرضى عن الله بما أعطى فقد حصلت الحياة الطيبة.

فإذا أدركتَ حق الإدراك نعتهم هذا عرفتَ أن نعيم الدنيا في الحقيقة هو نعيم القناعة برزق الله، وطُمأنينة القلوب بذكر الله وطاعته، وأن الواحد من هؤلاء لو لم يكن عنده من هذه الأمور - وهي القوة والصحة والمال والأهل والولد وتوابع ذلك - إلا الشيء القليل لكان في راحة وسرور من جهتين:

جهة القناعة وعدم تطلع النفس وتشوقها للأمور التي لم تحصل.

وجهة ما ترجوه من ثواب الله العاجل والآجل على هذه العبادة القلبية التي تزيد على كثير من العبادات البدنية.

فإن التعبد لله بمعرفة نعمه والاعتراف بها والرضى بها،

والرجاء لله أن يديمها ويتمها، وأن يجعلها وسيلة إلى نعم أخرى، وأن يجعلها طريقًا للسعادة الأبدية، لا ريب أن هذه الأحوال القلبية من أفضل الطاعات وأجل القربات، فكم من فَرْق بين سرور هذا الذي تعبد بروح الدين وحصلت له الحياة الطيبة، وبين من تلقى هذه النعم بالغفلة وعدم الاعتراف بنعمة المنعم وشقي بهمومها وغمومها، وكان إذا حصل له شيء من مطالب النفوس لم يرض به بل تشوق إلى غيره وتطلع لسواه، فهذا ينتقل من كدر إلى كدر آخر، لأن قلبه قد تعلق تعلقًا شديدًا بمطالب الجسد، فحيث جاءت على خلاف ما يؤمله ويريده قلق أشد القلق، وهو لا يزال في قلق مستمر، لأن المطالب النفسية متنوعة جدًّا، فلو وافقه واحد لم يوافقه الآخر، وربما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجه وحزن من وجه آخر، فصفوه ممزوج بكدره، وسروره مختلط بحزنه، فأين الحياة الطيبة لهذا؟!

وإنما الحياة الطيبة لأرباب البصائر والحِجى، الذين يتلقَوْنها كلها بالقبول والقناعة والرضى.

وأما الأمر الثالث، وهو جهة استعمال هذه النعم،

فصاحب الدين الصحيح يتناولها على وجه الشكر لله على نعمه والفرح بفضله، وينوي بها التقوي على ما خُلِق له من عبادة الله وطاعته، وينفقها محتسبًا بها رضى الله وفضله وخَلَفه العاجل والآجل. اهـ

فصل

ومن بشرى المتقين في الحياة الدنيا وَعْدُ الله عز وجل إياهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، بالثواب الجزيل في الآخرة، كما تقدم من قول الطبري[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

---

(١) صفحة ١٤.

﴿وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

فإخبار الله عز وجل عبادَه المتقين، ووَعْده إياهم بهذا الجزاء قبل حصوله، من أعظم البشرى لهم في الحياة الدنيا، وتمام هذه البشرى حصوله وإنجازه لهم في الآخرة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

□□□□□

الباب الثاني

في

بشرى المتقين
عند الموت وفي القبر

بشرى المتقين
عند الموت وفي القبر

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

قال ابن جرير[١]: يقول تعالى ذكره: (**إن الذين قالوا ربنا الله**)، وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، (**ثم استقاموا**) على توحيد الله، ولم يَخْلِطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهَوا إلى طاعته فيما أمر ونهى.

وقوله: (**تتنزل عليهم الملائكة**)، يقول: تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم.

---

(١) «تفسيره» (٢٤/٩٨).

وقال ابن سعدي[1]: يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)**؛ أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملًا، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. **(تتنزل عليهم الملائكة)** الكرام؛ أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار، **(ألا تخافوا)** على ما يستقبل من أمركم، **(ولا تحزنوا)** على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، **(وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)**، فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا.

ويقولون لهم أيضًا مثبتين لهم ومبشرين: **(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)**، يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط. اهـ

وقيل: هذه البشرى في القبر، وقيل: عند البعث.

---

(١) «تفسيره» (٣٩٦/٤-٣٩٧).

قال ابن كثير[1]: قال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جدًّا، وهو الواقع. اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ** ﴾ [الواقعة:٨٣-٩١].

قال ابن جرير[2]: قوله: (**فأما إن كان من المقربين . فروح وريحان**)، يقول تعالى ذكره: فأما إن كان الميت من المقربين الذين قربهم الله من جواره في جنانه، (**فروح وريحان**)، يقول: فله روح وريحان.

وذكر أقوالًا في معنى (**فروح وريحان**)، منها: عن أبي العالية: (**فأما إن كان من المقربين**)، قال: لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا، والمقربون: السابقون، حتى يؤتى بغصن من

(١) «تفسيره» (٤/٩٩).

(٢) «تفسيره» (٢٧/١٢١-١٢٢).

ريحان الجنة فيَشُمَّه، ثم يُقبض.

ثم قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عَنَى بالرَّوْح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رَوْحًا: إذا وجد نسيمًا يَسْتَرْوِح إليه من كرب الحرّ.

وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يُتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن ومَنْ قال في ذلك نحو قولهما، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه. اهـ

وقوله تعالى: (**وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين**)، فقال ابن كثير[1]: أي وأما إن كان المحتضَر من أصحاب اليمين، (**فسلام لك من أصحاب اليمين**)؛ أي: تبشرهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: (**سلام لك**)؛ أي: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت (**من أصحاب اليمين**).

وقال ابن سعدي[2]: (**فأما إن كان من المقربين**)؛ أي: إن كان الميت من المقربين إلى الله، المتقربين إليه بأداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات وفضول المباحات،

(١) «تفسيره» (٣٠١/٤).

(٢) «تفسيره» (١٧١/٥).

(فـ) لهم **(روح)**؛ أي: راحة وطُمأنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والروح، **(وريحان)**، وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمشارب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيرًا بنوع الشيء عن جنسه العام.

(وجنة نعيم)، جامعة للأمرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيُبَشَّر المقربون عند الاحتضار بهذه البِشارة، التي تكاد تطير منها الأرواح فرحًا وسرورًا.

وقوله: **(وأما إن كان من أصحاب اليمين)**، وهم الذين أَدَّوْا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تُخِلّ بتوحيدهم وإيمانهم، فيقال لأحدهم: **(سلام لك من أصحاب اليمين)**؛ أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين؛ أي: يسلمون عليه ويحيونه عند وصوله إليهم ولقائهم له، أو يقال له: **(سلام لك)** من الآفات والبليات والعذاب، لأنك **(من أصحاب اليمين)**، الذين سلِموا من الذنوب الموبقات. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً**

مَّرۡضِيَّةٗ * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

قال ابن كثير(١): هذا يقال لها عند الاحتضار وفي القيامة أيضًا. اهـ.

وقال الله تعالى بعد ذكر نعيم الجنة: ﴿**جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾ [النحل:٣١-٣٢].

قال ابن كثير(٢): (**كذلك يجزي الله المتقين**)؛ أي: كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله. ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون؛ أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة. اهـ.

قال ابن جرير(٣): يقول تعالى ذكره: كذلك يجزي الله المتقين الذين تَقْبِض أرواحَهم ملائكةُ الله، وهم طيبون

---

(١) «تفسيره» (٥١٠/٤).

(٢) «تفسيره» (٥٦٨/٢).

(٣) «تفسيره» (٧٠/١٤).

بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان، وطُهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم.

وقوله: (**يقولون سلام عليكم**)؛ يعني جل ثناؤه: أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين، وهي تقول لهم: سلام عليكم، صِيروا إلى الجنة، بِشارة من الله تبشرهم بها الملائكة. اهـ.

فصل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» الحديث[١].

وعنه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا [يَشُمُّونَهُ]، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ» الحديث[٢].

وعنه رضي الله عنه قال:

«إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه النسائي (٤/٨-٩)، وهذا لفظه، وابن حبان (٧٣٣ - موارد)، والحاكم (٣٥٢/١-٣٥٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٤/٣)، وزيادة «يَشُمُّونَهُ» لابن حبان والحاكم.

قال حماد: فذَكَرَ من طِيب ريحها وذَكَرَ المسكَ.

قال: «وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ(١)» الحديث(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ (أو قال: أَحَدُكُمْ)، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» الحديث(٣).

---

(١) أي: إلى سدرة المنتهى، كذا قال القاضي. كما في «شرح مسلم» للنووي (٢٠٥/١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٢)، وغيره.

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وغيره، وجود إسناده الألباني في «الصحيحة» (٣٨٠/٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قال: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» قال: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». قال: «فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ». قال نبي الله ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قال قتادة: وذُكِر لنا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ[1].

فصل
في حال الشهداء في البرزخ

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٢٣٢-٢٣٣ - فتح)، ومسلم (٢٨٧٠)، وهذا لفظه، وغيرهما.

﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

قال ابن سعدي[1]: هذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء وكرامتهم، وما مَنّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله)**؛ أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله، **(أمواتًا)**؛ أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفُقِدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يَحذر من فواته مَنْ جَبُن عن القتال، وزَهِد في الشهادة، **(بل)** قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم **(أحياء عند ربهم)** في دار كرامته.

ولفظ: **(عند ربهم)** يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم.

(يرزقون)، من أنواع النعيم الذي لا يَعلم وصفه إلا مَنْ

---

(١) «تفسيره» (١/٢٩٢-٢٩٣).

أنعم به عليهم، ومع هذا (**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)؛ أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص.

فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله، فتم لهم النعيم والسرور، (و) جعلوا (**يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**)؛ أي: يبشر بعضهم بعضًا بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، (**ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**)؛ أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، (**يستبشرون بنعمة من الله وفضل**)؛ أي: يهنىء بعضهم بعضًا بأعظم مُهَنًّأ به، وهو: نعمة ربهم وفضله وإحسانه، (**وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**)، بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله ما لا يصل إليه سعيهم. اهـ.

وعن مسروق قال: سَأَلْنَا عبدَ الله عن هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ** ﴾ [آل عمران:١٦٩]، قال: أمَا إنا قد سألنا عن ذلك، فقال:

«أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، وغيره.

الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ».

قال: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران:١٦٩]»(١).

□□□□□

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، وغيره، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٥٥).

٤٥٥).

الباب الثالث

في

بشرى المتقين في الآخرة

بشراهم عند الفزع الأكبر

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ * لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ * لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

قال الطبري[١] بعد أن ذكر أقوالًا في معنى (**الفزع الأكبر**): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن مَنْ لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمِن منه فهو مما بعده أحرى أن لا يفزِع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

وقوله: (**وتتلقاهم الملائكة**)؛ يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون: (**هذا يومكم الذي كنتم توعدون**) فيه الكرامة من الله والحِباء والجزيل من الثواب على

(١) «تفسيره» (١٧/٧٨).

ما كنتم تَنْصَبون في الدنيا لله في طاعته.

وقال ابن كثير[1]: قوله: **(وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون)**؛ يعني: تقول لهم الملائكة، تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: **(هذا يومكم الذي كنتم توعدون)**؛ أي: فأَمِّلوا ما يسركم.

وقال ابن سعدي[2]: **(وتتلقاهم الملائكة)** إذا بعثوا من قبورهم، وأَتَوْا على النجائب وفدًا لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: **(هذا يومكم الذي كنتم توعدون)**، فلْيُهْنِكم ما وعدكم الله، ولْيَعْظُم استبشارُكم بما أمامكم من الكرامة، ولْيَكْثُر فرحُكم وسرورُكم بما أَمَّنكم اللهُ من المخاوف والمكاره. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:٣٨-٣٩].

قال ابن كثير[3]: قوله: **(وجوه يومئذ مسفرة)**؛ أي: مستنيرة، **(ضاحكة مستبشرة)**؛ أي: مسرورة فرحة، من سرور قلوبهم قد ظهر البِشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة.

---

(١) «تفسيره» (١٩٩/٣).

(٢) «تفسيره» (٣٠١/٣).

(٣) «تفسيره» (٤٧٤/٤).

فصل
في بشراهم عند الحشر

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥].

قال ابن سعدي[1]: يحشرهم إلى موقف القيامة مكرَّمين مبجَّلين معظَّمين، مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودًا إليه، والوافد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء وحسن الظن بالوافد إليه ما هو معلوم، فالمتقون يفِدون إلى الرحمن راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله، فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله. اهـ.

وعن علي رضي الله عنه، أنه قرأ هذه الآية فقال: أما والله ما يُحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سَوقًا، ولكنهم يُؤْتَوْن بِنُوقٍ من نُوقِ الجنة، لم تنظر الخلائق إلى مثلها، عليها رحال الذهب، وأزِمَّتها الزَّبَرْجَد، فيَركبون عليها حتى يَطرقوا باب الجنة[2].

---

(١) «تفسيره» (٣/٢١٩-٢٢٠).

(٢) «الدر المنثور» (٥/٥٣٩).

فصل
في بشراهم عند الحساب
ونصب الموازين وإعطاء الكتب

قال الله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾ [القارعة:٦-٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف:٨].

قال ابن سعدي[1]: **(فمن ثقلت موازينه)**، بأن رجحت كفة حسناته على سيئاته، **(فأولئك هم المفلحون)**؛ أي: الناجون من المكروه، المدركون للمحبوب، الذين حصل لهم الربح العظيم، والسعادة الدائمة. اهـ.

وقال الله عز وجل: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ** ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤].

---

(١) «تفسيره» (٢/٩٧).

قال ابن سعدي(1): وهؤلاء هم أهل السعادة، يُعْطَوْن كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم، تمييزًا لهم وتنويهًا بشأنهم ورفعًا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما مَنّ الله عليه به من الكرامة: **(هاؤم اقرؤوا كتابيه)**؛ أي: دونكم كتابي فاقرؤوه فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب.

وقال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا**﴾ [الانشقاق:٧-٩].

قال ابن كثير(2): **(فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا)**؛ أي: سهلًا بلا تعسير؛ أي: لا يُحَقَّق عليه جميعُ دقائق أعماله، فإن من حُوسب كذلك يهلك لا محالة.

قال: قوله تعالى: **(وينقلب إلى أهله مسرورًا)**؛ أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك. **(مسرورًا)**؛ أي: فرحًا مغتبطًا بما أعطاه الله عز وجل.

---

(١) «تفسيره» (٥/٢٩٨).

(٢) «تفسيره» (٤/٤٨٨-٤٨٩).

فصل
في بشراهم
عند المرور على الصراط

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢].

قال ابن سعدي(١): يقول تعالى مبينًا لفضل الإيمان واغتباط أهله به يوم القيامة: (**يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**)؛ أي: إذا كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بإيمانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويُبَشَّرون عند ذلك بأعظم بِشارة، فيقال: (**بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز**

---

(١) «تفسيره» (٥/١٧٧-١٧٨).

العظيم). فلله ما أحلى هذه البِشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب، ونَجَوْا من كل شر ومرهوب. اهـ.

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

قال المناوي[2]: (المشائين)، بالهمز والمد؛ أي: من تكرر منه المشي إلى إقامة الجماعة، (في الظلم)، بضم الظاء وفتح اللام: جمع ظُلْمة بسكونها: ظُلْمة الليل، (إلى المساجد)، القريبة أو البعيدة، (بالنور التام)؛ أي: من جميع جوانبهم، فإنهم يختلفون في النور بقدر عملهم، (يوم القيامة)؛ أي: على الصراط.

قال: لما قاسوا مشقة ملازمة المشي في ظلمة الليل إلى الطاعة جُوزوا بنور يضيء لهم يوم القيامة، وهو النور المضمون لكل مَشَّاء إلى الجماعة في الظُّلَم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦١)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) «فيض القدير» (٣/٢٠١).

فصل
في تقريب الجنة للمتقين

قال الله تعالى: ﴿ **وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ** ﴾ [ق:٣١-٣٢].

قال ابن كثير[١]: **(وأزلفت الجنة)**؛ أي: قُرّبت الجنة وأُدنيت من أهلها يوم القيامة، مزخرفة مزينة لناظريها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها عملها في الدنيا.

وقال[٢]: **(غير بعيد)**، وذلك يوم القيامة، وليس ببعيد؛ لأنه واقع لا محالة، وكل ما هو آت آت.

وقال ابن سعدي[٣]: وإنما أُزلفت وقُرّبت لأجل المتقين لربهم، التاركين للشرك صغيره وكبيره، الممتثلين لأوامر ربهم، المنقادين له، ويقال لهم على وجه التهنئة: **(هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ)**.

---

(١) «تفسيره» (٣/٣٣٩).

(٢) «تفسيره» (٤/٢٢٨).

(٣) «تفسيره» (٥/٨٦-٨٧).

فصل
في بشرى المتقين عن دخول الجنة
وذكر ما أعد الله تعالى لهم فيها

قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

قال ابن سعدي[١]: **(وسيق الذين اتقوا ربهم)** بتوحيده والعمل بطاعته، سَوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدًا على النجائب، **(إلى الجنة زمرًا)**، فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله، **(حتى إذا جاؤوها)**؛ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهَبّ عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها، **(وفتحت)** لهم **(أبوابها)** فَتْح إكرام لكرام الخلق ليكرَموا فيها، **(وقال لهم خزنتها)** تهنئة لهم وترحيبًا: **(سلام عليكم)**؛ أي: سلام من كل آفة وشر حال عليكم، **(طبتم)**؛ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٤١/٤).

ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته، **(فـ)** بسبب طيبكم **(ادخلوها خالدين)**؛ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون. اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿ **يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ * ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ * لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ** ﴾ [الزخرف:٦٨-٧٣].

قال ابن سعدي[1]: **(تحبرون)**؛ أي: تنعمون وتكرمون، ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات، ما لا تعبر الألسن عن وصفه.

(يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب)؛ أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب، وشرابهم بألطف

(١) «تفسيره» (٤/٤٥٦).

الأواني، وهي الأكواب التي لا عُرَى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.

(**وفيها**)؛ أي: الجنة (**ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**)، وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم ومشارب وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها معد لأهلها على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: ﴿ **لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ** ﴾ [يس:٥٧].

(**وأنتم فيها خالدون**)، وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخُلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿ **فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ * قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا**

زَنجَبِيلًا * عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا * وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا * وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان:١١-٢٠].

قال ابن كثير[1]: **(وإذا رأيت)**؛ أي: وإذا رأيت يا محمد، **(ثَم)**؛ أي: هناك؛ يعني: في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور، **(رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا)**؛ أي: مملكة لله هناك عظيمة، وسلطانًا باهرًا.

وقال ابن سعدي[2]: **(وإذا رأيت ثَم)**؛ أي: هناك في الجنة، ورمقتَ ما هم فيه من النعيم، **(رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا)**.

فتجد الواحد منهم عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المُعْجِبة، والطيور المطربة المشجية، ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

---

(١) «تفسيره» (٤/٤٥٦-٤٥٧).

(٢) «تفسيره» (٥/٣١٩).

وعنده من الزوجات اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخَيْرات الحسان، ما يملأ القلب سرورًا، ولذة وحبورًا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبَّدين، ما به تحصل الراحة والطُمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه. اهـ.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ:

«سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ

وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ.

قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

قال: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ الآية [السجدة:١٧]»[1].

وقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف:٣٠-٣١].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩)، وغيره.

فصل
في سلام الملائكة
على أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

قال ابن كثير(١): أي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تَفِد عليهم الملائكة مسلِّمين مهنِّئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام، والإقامة في دار السلام، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام.

---

(١) «تفسيره» (٢/٥١٠).

فصل
في سلام ربهم الرحيم عليهم

قال جل ثناؤه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤].

قال ابن كثير[١]: قوله تعالى: **(تحيتهم يوم يلقونه سلام)**، الظاهر أن المراد ـ والله أعلم ـ **(تحيتهم)**؛ أي: من الله تعالى، **(يوم يلقونه سلام)**؛ أي يوم يُسَلِّم عليهم.

وقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

قال ابن سعدي[٢]: **(سلام)** حاصل لهم **(قولًا من رب رحيم)**، ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: **(قولًا)**، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها.

فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف

(١) «تفسيره» (٤٩٦/٣).
(٢) «تفسيره» (٢٤٢/٤).

الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا؟! فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك، فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم. اهـ.

فصل
في رؤية أهل الجنة
ربهم تبارك وتعالى

قال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

قال ابن كثير(١): **(وجوه يومئذ ناضرة)**؛ من النضارة؛ أي: حسنة بهية مشرقة مسرورة، **(إلى ربها ناظرة)**؛ أي: تراه عِيانًا.

وقال ابن القيم(٢): يا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه

(١) «تفسيره» (٤/٤٥٠).

(٢) «حادي الأرواح» (ص ٢٨٤).

الكريم في الدار الآخرة! ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة!
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ اهـ.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾ [المطففين:٢٢-٢٤].

قال ابن سعدي[١]: (**ينظرون**) إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، (**تعرف**) أيها الناظر إليهم (**في وجوههم نضرة النعيم**)؛ أي: بهاءه ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذات والمسرات والأفراح يكسب الوجه نورًا وحُسنًا وبهجة.

وقال ابن كثير[٢]: (**تعرف في وجوههم نضرة النعيم**)؛ أي: تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم؛ أي: صفة الترافة والحشمة والسرور والدَّعة والرياسة؛ مما هم فيه من النعيم العظيم. اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس:٢٦].

---

(١) «تفسيره» (٥/٣٨٨).

(٢) «تفسيره» (٤/٤٨٦).

وعن صهيب رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقال:

«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ ـ يعني إليه ـ وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ»[1].

فصل
في رضوان الله عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

قال ابن سعدي[2]: **(ورضوان من الله)**، يحله على أهل

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، وابن ماجه (١٨٧) بلفظه، وغيرهم.
(٢) «تفسيره» (٢/٢٦٦).

الجنة، **(أكبر)** مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أَمّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسماوات، أكبر من نعيم الجنات. اهـ.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَمَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا؟ قَالَ: يَقُولُ: رِضْوَانِي أَكْبَرُ»(١).

فصل

وتمام هذه البشريات التي في الجنة كونها دائمة لا تنقطع ولا تمتنع، ولا يملها أصحابها، ولا يرغبون عنها، ولا يتمنون سواها.

قال الكريم المنان سبحانه: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ**

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٢/١)، وغيره، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «الصحيحة» (٣٢٤/٣).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٨].

قال ابن جرير[1]: قوله: **(عطاء غير مجذوذ)**؛ يعني: عطاء من الله غير مقطوع عنهم، من قولهم: جَذَذْت الشيء أجذُّه جَذًّا إذا قَطَعْته. اهـ.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]»[2].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

---

(١) «جامع البيان» (٧٢/١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، وغيره.

قال ابن سعدي[1]: جنة الفردوس نزل وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي ضيافة أجل وأكبر وأعظم من هذه الضيافة!! المحتوية على كل نعيم للقلوب والأرواح والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة.

وأعلى ذلك وأفضله وأجله التنعم بالقرب من الرحمن، ونيل رضاه الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم.

فلله تلك الضيافة ما أجلها وأجملها! وأدومها وأكملها! وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو عَلم العباد بعض ذلك النعيم علمًا حقيقيًّا يصل إلى قلوبهم لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت

---

(١) «تفسيره» (١٨٨/٣).

أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانًا، ولم يُؤْثِروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يُفَوِّتوا أوقاتًا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحُقُب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة وهت، فكان ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله: **(خالدين فيها)**، هذا هو تمام النعيم، أن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه أنه لا ينقطع، **(لا يبغون عنها حولًا)**؛ أي: تحولًا ولا انتقالًا؛ لأنهم لا يَرَوْن إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يَرَوْن نعيمًا فوق ما هم فيه. اهـ.

وقال ابن كثير[1]: وفي قوله: **(لا يبغون عنها حولًا)** تنبيه على رغبتهم فيها، وحبهم لها، مع أنه قد يُتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أنه يسأمه أو يمله، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولًا ولا انتقالًا ولا ظعنًا ولا رحلة ولا بدلًا.

□□□□□

(١) «تفسيره» (١٠٨/٣).

الباب الرابع

في

ذكر المستحقين لبشرى الدنيا والآخرة

المستحقون
لبشرى الدنيا والآخرة

المستحقون لها والذين هم أهلها هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، كما قال الله العليم الحكيم:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشورى:٢٢-٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٧].

قال ابن عطية(١): قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمر نبيه

---

(١) «المحرر الوجيز» (٣٨٩/٤-٣٩٠).

أن يُبَشِّر المؤمنين بأن لهم عنده فضلًا كبيرًا، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ**﴾ [الشورى:٢٢]، فالآية التي في هذه السورة خبر، والتي في ﴿**حمٓ * عٓسٓقٓ**﴾ تفسير لها.

وقال ابن سعدي(١): قوله: (**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرًا**)، ذكر في هذه الجملة المُبَشَّر وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.

وذكر المُبَشَّر به، وهو الفضل الكبير؛ أي: العظيم الجليل، الذي لا يُقادَر قدرُه؛ من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكروب، وكثرة الأرزاق الدارة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه.

وهذا مما ينشط العاملين؛ أن يُذكَر لهم من ثواب الله على أعمالهم ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم. اهـ.

---

(١) «تفسيره» (١٦٠/٤).

قال ابن عاشور[1]: الفضل: العطاء الذي يَزيده المعطي زيادة على العطية، فالفضل كناية عن العطية أيضًا؛ لأنه لا يكون فضلًا إلا إذا كان زائدًا على العطية، والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. ووَصْف **(كبيرًا)** مستعار للفائق في نوعه.

وقال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

قال ابن سعدي[2]: يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه ويذكر أعمالهم وأوصافهم وثوابهم، فقال: **(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم)** فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال، **(ولا هم يحزنون)** على ما أسلفوا؛ لأنهم لم يُسلفوا إلا صالح الأعمال،

(١) «التحرير والتنوير» (٥٧/٢٢).

(٢) «تفسيره» (٣٢٩/٢).

وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم ذكر وصفهم فقال: **(الذين آمنوا)**؛ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدّقوا إيمانهم باستعمال التقوى؛ بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي. اهـ.

وقال المراغي(١): **(ذلك هو الفوز العظيم)**؛ أي: ذلك الذي ذُكِر من البشرى بسعادة الدارين هو الفوز الذي ليس بعده فوز؛ لأنه ثمرة الإيمان الحق، والتقوى في حقوق الله وحقوق الخلق. اهـ.

فصل

ويدخل في الإيمان والعمل الصالح: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، واليقين بالآخرة، والإخبات، والخشية، والوجل، والصبر، وسائر أعمال القلوب والجوارح.

هذا، وذروة سنام الأعمال الموجبة لدخول الجنات، المقتضية لحصول البشريات، في الدنيا والآخرة وبعد الممات،

---

(١) «تفسيره» (١٣٠/١١).

هو الجهاد في سبيل الله تعالى بالمال والنفس.

قال الله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل:١-٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢٠-٢٢].

فصل

وبحسب الإيمان والعمل الصالح تكون البشرى، فمن كان إيمانه أقوى وأكمل، وعمله أتم وأكثر، كانت البشرى في

حقه أعظم وأكبر.

وأعلى درجات الإيمان والعمل الصالح هي «الإحسان» في عبادة الله تعالى، بأن يعبد العبدُ ربَّه كأنه يراه عز وجل، فإن لم يكن يراه فإن الله سبحانه وتعالى يراه[1]، وأن يحسن إلى خلقه بجميع وجوه الإحسان الممكنة.

قال الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧].

قال ابن سعدي[2]: **(وبشر المحسنين)**؛ بعبادة الله؛ بأن يعبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبدوه معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم ورؤيته إياهم، والمحسنين لعباد الله بجميع وجوه الإحسان؛ من نفع مال أو علم أو جاه أو نصح، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة، ونحو ذلك.

فالمحسنون لهم البِشارة من الله بسعادة الدنيا والآخرة، وسيُحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده، ﴿ **هَلْ**

---

(١) كما جاء في الحديث: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». متفق عليه، بعدة ألفاظ.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٢٣/٣).

﴿جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦]. اهـ.

❑❑❑❑❑

خاتمة

وبعد، أخي القارئ، فقد بان لك ما يُبَشَّر به المؤمنون المتقون، من الخيرات والمسرات، في الدنيا والبرزخ وفي الآخرة، فاحرص أيها العاقل على تحصيلها، وسارع أيها اللبيب إلى الفوز بها.

وأيقِن أنك لا يمكنك ذلك إلا بالإقبال على الله عز وجل، والإنابة إليه، والمسارعة إلى رعاية حقوقه، واجتناب نواهيه.

واعلم أن الموت قد يفاجئك في أي لحظة، فحذار أن ينزل بك وأنت لم تتهيأ له، فلم تلتزم التقوى بعد، ولم تُحَصِّل منها ما يوجب لك البشرى والأمان، وا حسرتا!! كما هو حال المجرمين ـ عياذًا بالله من حالهم ومآلهم ـ الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿ **يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ [الفرقان:٢٢].

قال ابن سعدي[1]: (**يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ**

---

(١) «تفسيره» (٣/٤٣٥-٤٣٦).

للمجرمين)، وذلك أنهم لا يَرَوْنها مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم إلا لعقوبتهم وحلول البأس بهم.

فأول ذلك عند الموت: إذا تنزلت عليهم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [الأنعام:٩٣].

ثم في القبر: حيث يأتيهم منكر ونكير فيسألانهم عن ربهم ونبيهم ودينهم، فلا يجيبون جوابًا ينجيهم، فيُحِلُّون بهم النِّقْمة، وتزول عنهم بهم الرحمة.

ثم يوم القيامة: حين تسوقهم الملائكة إلى النار، ثم يُسْلِمونهم لخزنة جهنم، الذين يتولون عذابهم، ويباشرون عقابهم. اهـ

تم الكتاب. وسبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلِّ اللهم على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلِّم.

وكتب

محمد شومان الرملي

الفهرس